



## مرثية لعمارات الزمن الوديعة: ديالا خضري... الهمجية الزاحفة على بيروت

آداب وفنون | فنون تشكيلية | روان عز الدين | الجمعة 16 تشرين الثاني 2018



«بعد الحفلة» (أكريليك على لوح متوسط الكثافة. قطر 1 م)

## في معرضها الحالي «أنماط بيروت» علاقة الجيل الجديد مع مدينة في تحوّلها العمراني البشع. في غاليري Art on 56th، تنحاز ديبالا خضري إلى الماضي في لوحات تستعيد تلك الأنماط الجماليّة في العمارة

Beirut in Patterns أو «أنماط بيروت» هو عنوان المعرض الفردي الثاني لديبالا خضري (1979) في غاليري Art on 56th (الجميعة. بيروت)، بعد معرضها الأول Tailor-made عام 2015. تبني الفنانة اللبنانية علاقة الجيل الجديد مع مدينة في طور مراحل متقدّمة من تحوّلها العمراني. ما يجعل منه، أي هذا الجيل، «سائحاً في بلاده» وفق نصّ المعرض، في بحثه عن الإرث العمراني في بيروت الحالية المفتقرة إلى هويّة واضحة. وفي بحثها ومساءلتها لمعنى البيت والسكن وطبيعة العلاقة بين الفضاءات الداخليّة والخارجيّة، تنحاز خضري إلى الماضي في لوحات تكاد أن تكون تقليداً لتلك الأنماط الجماليّة في العمارة.

لهذا، قد يكون مبرراً أن تستعير لوحاتها داخل الغاليري، بعض خصال الصور الفوتوغرافيّة: الزوايا التي اختارتها للبيوت والمشاهد تقوم على منظر بصري من الأعلى أو الأسفل. مشاهد بعض اللوحات هي ومضات متوقّفة بما لا لقدرة لعبين بشرية على القيام به. اعتمدت خضري أيضاً على واقعيّة خزفيّة في نقل أدق تفاصيل الأمكنة والبيوت وعناصرها. برسمها لتلك الممارسات المعمارية المنقرضة تقريباً كالبلاط، والدرايزين الحديدي، والشبابيك الخشبية، والأدراج، والكراسي والمقاعد المصنوعة من القش، تحتفي خضري بالشغل المتمهّل والمضني على تصاميم البيوت وتفصيلاتها، في فترات سابقة من تاريخ عمارة لبنان، وتحديدأ في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأوّل من القرن العشرين. في إحدى غرف الغاليري، غلّقت أعمال مرسومة بالأكريليك على ألواح خشبية مدوّرة. اقتطعت خضري مشاهد من الفضاءات الداخليّة وتفصيلها، ينبثق منها أحياناً الضوء والظلال. ديبالا الآتية من خلفيّة في فن الزخرفة، تتفنّ جيداً نقل التفاصيل والنقوش والخطوط المجرّدة لتلك البيوت، ما يحصر أهميّة هذا العمل في جانبه التوثيقي. مهارتها التقنية التي تقارب الكمال في رسم الواقع لم تخلّص اللوحات من طابعها الشكليّ، إذ تظهر أحياناً كدراسات للتصاميم الداخليّة والخارجيّة، ملتصقة بمرجعها الواقعي الذي يغلق أيّ مساحة للخيال أو الإيحاء. رغم امتلاء اللوحات بالعناصر والأشكال المختلفة، إلا أن الفنانة لم تتجاوز حدود التأليف المشهدي وترانبيته ونظافته. تفتح لنا خضري رؤية واحدة إلى بيروت، مصوّبة غالباً إلى تلك الحقبة العمرانيّة. في لوحات أخرى، تشرّع مشهدها على فضاء مدينيّ خارجي، بمنح مساحاتها الهندسيّة الداخليّة طابع الأفول. ترسم بقعاً قائمة على التنافر، تتجاور فيها الأبراج الحديثة وتلك البيوت القديمة الواطئة والقرميديّة المهذّدة بالهدم. قد تظهر بعض البؤر الخضراء بحياء، لتشير إلى التبدّل السريع الهمجي في المدينة. تلتقط ذلك التماس الذي يمكن لأيّ مار في بيروت أن

يلاحظه في مناطق سيرز، والقطاري، والجميزة وعين الريسة، وزقاق البلاط... تلجأ الفنانة إلى الأكريليك، لكنها تنوع في المواد المستخدمة كالألواح الخشبية والكانفاس والقماش والورق المقوى بكل الأحجام، حتى على الصناديق الخشبية. بصرف النظر عن الطرح الفني، ترسم خضري ما يشبه الأيقونات لبعض العمارات الأليفة القليلة المتبقية. من إحدى الزوايا وراء قضبان متقاطعة، تستفيض في نقل تفاصيل الهيكل الخارجي لمنزل مؤلف من طبقتين: درجات تربط طبقاته، نباتات مركونة على الشرفة، سجاد ملقى على الدرابزين، وأباجورات خضراء، وكرة. رغم أن هذه الفسحات قد تمنح المتفرج انطباعاً بالمكان الأمثل والأكثر ألفة لمفهوم المنزل، إلا أنها باتت نادرة في المدينة. مع ذلك، تبقى خضري متمسكة بهذا الطابع لبيروت، وهو الذي اختارت تظهريه بصرياً. هناك لوحات لبعض الأبنية المعروفة واللافتة مثل المبنى ذي الشبايك المدوّرة والستائر الملونة في منطقة الرملة البيضاء. هنا ترصد خضري علاقة الجيل الجديد، مع هذه الأبنية. تدخل الحضور البشري إلى لوحاتها ضمن مشهديات تظهر هذا التواصل بشكل مباشر. هنا فتاة بجاكيت جينز تقف قبالة المبنى، فيما تجتري المشهد أحياناً بالتركيز على أقدام وأرجل لنساء يافعات تتلاقى ثقافتهن وأساليبهن الحديثة بأنماط هذه البيوت. وإذا تركّز على العمارات والأبنية، تبعد خضري عن الحرب، التي لطالما كانت المدخل إلى الاشتغال على الفضاء المدني في الفن اللبناني مثل رسومات «الهوليداي إن» و«برج المز»، والدمار والنصب الاسمنتية التي تنبت على حواف الطرق. لكن الحرب تلوح في موقف خضري من العبثية في العمران نتيجة مشاريع الإعمار والاقتصاد التي تلت سنوات الاقتتال.